تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

إندفاع روسي، إنكفاء فرنسي، تنافس صيني ـ أميركي أفريقيا مركز الصراع في النظام العالمي الجديد

اكتسبت القارة الافريقية بعدا استراتيجيا متزايدا في الاعوام الماضية رغم التهميش والابعاد الذي عانت منها في العقود السابقة. وقد فرضت الاهمية التي تتمتع بها القارة، اضافة الى المعطيات الدولية، على عدد من القوى العالمية لاسيما الصين والولايات المتحدة الاميركية وروسيا الدخول في حلبة تنافس لحجز موطئ قدم لها وتحقيق مصالحها وفتح افاق جديدة

ازدادت لعبة التنافس بين القوى الكبرى، في شقيها الجيوسياسي والجيواقتصادي وهما بالطبع مترابطان. جاءت حرب اوكرانيا، وهي تشكل مواجهة غربية روسية، لتعطي قوة دفع كبيرة لهذه المواجهة المتعددة الشكل والطرف.

تعد القارة الافريقية ثاني اكبر قارات العالم بعد اسيا، وهي تتمتع بثروات طبيعية وموارد ضخمة غير مستثمرة بشكل كامل في معظمها. وتكتسب اهميتها من كونها تشكل خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والمواد الاولية والاحجار النفيسة التي يشتد الضغط عليها في ظل التنافس الشديد بين كبرى الدول المستهلكة لهذه الموارد اثر ازدياد الطلب العالمي وتقلص نسبة الاحتياطيات العالمية ومعدلات الانتاج في اماكن ومناطق اخرى من العالم.

من الموارد التي تتمتع بها:

ـ النفط والغاز 10 في المئة من احتياطي النفط العالمي المثبت، و8 في المئة من احتياطيات الغاز، وتتركز كميات كبيرة منها على السواحل او في المياه الاقليمية لدولها. وهناك العديد من المناطق غير المكتشفة الى الان والتي يمكن ان تحوي كميات كبيرة من النفط والغاز بشكل يجعل من القارة الملجأ الاخير غير المستنفذ بعد نفطيا.

ـ الموارد الطبيعية والاولية 80 في المئة من البلاتين، واكثر من 40 في المئة من الماس، و20 في المئة من ذهبها وكذلك الامر من الكوبالت.

ـ المياه تمتلك حوالى 4 الاف كلم2 من مصادر المياه العذبة المتجددة في السنة، اي ما يوازي حوالى 10 في المئة من مصادر المياه العذبة المتجددة في العالم.

قد تصبح افريقيا واحدة من اهم المناطق الاستراتيجية، اذ ان المنافسة بين الدول الكبرى فيها ستزيد من حاجة واشنطن الى التدخل وحماية مصالحها وتسويق الديموقراطية والتجارة والمشروعات الحرة، لفرض مزيد من الهيمنة في مقابل وجود روسيا والصين في القارة.

تعددت الاهداف الاستراتيجية التي تسعى اميركا وروسيا والصين الى تحقيقها من خلال التقارب مع دول القارة:

* تتخوف اميركا من الصعود الروسي والصيني في القارة الافريقية، لذلك اعلنت ادارة الرئيس جو بايدن استراتيجيتها الجديدة تجاه افريقيا والتي تعد جزءا من جهود اعادة بناء التعاون والشراكة والعلاقة المتوازنة مع افريقيا لمواجهة الخصمين الجيوسياسيين: الصين وروسيا. تتضمن هذه الاستراتيجيا التأكيد على تعزيز الديموقراطية والحكم والامن، ومعالجة ازمة المناخ وانعدام الامن الغذائي، وانتقال عادل للطاقة، وتغيير اولوياتها في مكافحة الارهاب في منطقة الساحل الافريقي من الدعم العسكري الى ديبلوماسية التنمية، خصوصا بعد ان انفقت الولايات المتحدة وشركاؤها مليارات الدولارات لدعم العمليات العسكرية ضد الجهات الارهابية، من دون ان تحقق النتائج المرجوة.

* الصين تنظر الى افريقيا على انها خزان استراتيجي للموارد الاولية والطبيعية في العالم، وهو ما يعطيها القدرة على تلبية حاجاتها المتزايدة من هذه المواد، وبالتالي الحفاظ على النمو الاقتصادي للبلاد والصعود الجيوسياسي على المستوى الاقليمي والدولي. شكل وضع الصين المالي والتجاري في العالم رافعة للعلاقة الثنائية بينها وبين دول القارة، اذ وجدت الصين ان من الممكن للقارة الافريقية ان تحتل موقع الشريك الاستراتيجي في ظل امكانية التكامل لدى الطرفين، فتعمل دول القارة على اشباع الصين من المواد الاولية والطبيعية، في حين تقوم الصين بدعم دول القارة بالمساعدات المالية السخية وغير المشروطة، اضافة الى تأمين العقود التجارية والاقتصادية المجزية للطرفين وتوفير الخبرات او المساعدات اللازمة لهذه الدول في تهيئة بنيتها التحتية والانطلاق بها نحو تحقيق الاستقرار السياسي والاقتصادي.

تبدو الصين عبر الديبلوماسية الاقتصادية بشكل خاص القوة الدولية الاكثر نشاطا وتقدما في زمن قصير نسبيا، مقارنة بالقوى الاخرى في افريقيا. فالصين الشعبية هي الشريك التجاري الاول للقارة الافريقية، وهي في الوقت ذاته اكبر مصدر للاستثمار الخارجي المباشر في القارة السمراء. لا تخضع الاستراتيجيا الاقتصادية والتجارية الصينية كما هي الاميركية لشروط او قيود سياسية وضريبية، فالسياسة الصينية ايضا اكثر براغماتية من الاميركية في هذا المجال. فلا تربط كما هي حال واشنطن مرات كثيرة بين طبيعة النظام السياسي القائم والتعاون الاقتصادي معه. فالصين الشعبية نجحت في تقديم نموذج مختلف عن اقتصاد السوق الغربية في ما يتعلق بمسألة التنمية ايضا والعلاقة مع الطبيعة السياسية للنظام المعني.

وللتذكير فان الصين لم تأتِ الى افريقيا

كقوة اقتصادية وتجارية فقط، بل اقامت منذ عام 2017 اول قاعدة عسكرية لها في افريقيا، وقد اقيمت القاعدة في جيبوتي الصديقة للغرب، وذات الموقع الاستراتيجي المهم في القرن الافريقي ومنطقة الالتقاء بين خليج عدن والبحر الاحمر. المثير للاهتمام ان فرنسا ذات العلاقات التاريخية في القارة الافريقية، خاصة في غرب افريقيا ومنطقة الساحل كما اشرنا، اعلنت اخيرا اعادة تعريف سياستها الافريقية بعيدا مما عرف بـ"فرنسا افريقيا" في الماضي للدلالة على خصوصية العلاقات التاريخية منذ الاستعمار.

على خط مواز للتمدد الصيني في افريقيا، نشطت روسيا في تعزيز وجودها في افريقيا، مستفيدة من سلبيات السياسة الغربية في القارة، ومن تاريخها الاستعماري، كما استفادت من تنامي حالة عدم القبول

> **تنافس بين القوى الكبرى جيوسياسي وجيواقتصادي**

الافريقي للخطاب والمواقف الغربية تجاه افريقيا، فبنت خطابا وسياسات تناصر افريقيا في قضاياها السياسية والاقتصادية المختلفة، وتؤكد اهمية المحافظة على سيادة الدول الافريقية، وعدم اخضاعها بادوات السياسة او الاقتصاد.

تعددت وتنوعت اشكال الحضور الروسي في افريقيا، وعلى الرغم من هيمنة العنصر الامني والعسكري عليها، فقد سعت موسكو الى الاستفادة من الحضور الثقافي والاستثماري، وقد ازداد حضور شركات كبرى مثل "غازبروم" و"لوك اويل" و"روستك" و"روس اتوم" في القارة، خصوصا في مصر والجزائر واوغندا ونيجيريا وانغولا. كما افتتحت روسيا في كثير من الدول الافريقية مراكز ثقافية تروج لسياستها. لكن العنصر الابرز الذي طورته موسكو خلال السنوات الاخيرة، تمثل في تقديم الخدمات الامنية والعسكرية لبلدان القارة. وزادت اهمية هذا العنصر بسبب الحرب في اوكرانيا، وبات يشكل اولوية في السياسات الخارجية لموسكو في الوقت الراهن.

الاكيد ان موسكو سعت الى اظهار فشل سياسة الغرب في عزلها، وكونها ما زالت تحظى بحضور مهم لدى عدد واسع جدا من البلدان، خصوصا في ظل ان الجزء الاعظم من البلدان الافريقية لم ينخرط في العقوبات والقيود المفروضة على روسيا، بل بالعكس من ذلك سعت بعض البلدان الى توظيف المواجهة الروسية الغربية المتفاقمة لتحقيق فوائد، كما حدث في مالي وبوركينا فاسو وغيرهما، فضلا عن ان تحركات لافروف عززت القناعة بتوجه روسي الى استعادة الحضور السوفياتي في افريقيا، لجهة تأكيد موسكو الدائم ان الدولة العظمى في السابق كانت لها اسهامات كبرى في تحرير القارة من هيمنة الاستعمار الغربي. ولا يمكن تجاهل ان جولات وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف جاءت في سياق التحضير لعقد القمة الروسية ـ الافريقية الثانية التي انعقدت في مدينة سان بطرسبرغ الروسية منتصف هذا العام.

روسيا الغارقة في حرب مكلفة وطويلة، عرفت كيف تدخل فيها ولا تعرف كيف تخرج ومتى، روسيا المنهكة باوضاعها ومشاكلها الخاصة، تجد متسعا من الوقت للتوجه الى افريقيا والبحث عن كيفية تعزيز وجودها في القارة السمراء، في اطار الصراع الدولي المستعر بعد حرب اوكرانيا والحرب الباردة الجديدة على امتداد العالم. في خلال ستة اشهر، قام لافروف بثلاث جولات ◄

افريقية: الجولة الاولى شملت مصر والكونغو واوغندا واثيوبيا، الجولة الثانية شملت جنوب افريقيا وانغولا واريتريا، والجولة الثالثة هذا الاسبوع قادته الى مالي والى السودان المحطة التي تحظى باهمية خاصة لدى موسكو، والتي تشكل محادثات الوزير فيها استكمالا لجولاته النشطة في القارة الافريقية، خلال الاشهر الاخيرة، وفي اطار خطة حشد معسكر الحلفاء المحتملين، في اطار مواجهتها المتفاقمة مع الغرب التي يقول خبراء انها سوف تشهد استمرارا في التعقيد لفترة طويلة، مهما كانت طبيعة التطورات في ساحة الحرب الاوكرانية.

راهنا، تشكل القارة الافريقية مسرحا لصراع استراتيجي محموم على النفوذ بين الدول الكبرى، خصوصا الولايات المتحدة الاميركية وروسيا والصين، حتى بدا الامر وكأن حربا باردة جديدة بين الكبار تلوح في الافق. فما تشهده القارة من حراك ديبلوماسي نشيط في الاشهر والاسابيع الاخيرة، وزيارات لمسؤولي هذه الدول (وزير الخارجية الاميركي انتوني بلينكن الى الجنوب، وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف الى الشرق، وسبقهم وزير الخارجية الصيني وانغ يي بجولة مطلع العام الجاري الى افريقيا)، يوحي بأن هذه القوى في صراع مع الزمن، من اجل الظفر بود الدول الافريقية والتغلغل فيها، سعيا للحصول على الموارد والافضلية في الاسواق والامتياز في الاستثمارات، وكأنهم في صدد عملية توزيع جديدة للنفوذ داخل القارة.

الصراع على النفوذ في القارة الافريقية ليس جديدا، لكن الازمة الروسية ـ الاوكرانية التي خلخلت موازين القوى على الصعيد الدولي تمهيدا لميلاد عالم جديد، والتوترات الاميركية - الصينية كانت مثابة عود الثقاب الذي اشعل الصراع بين المعسكرين الغربي والشرقي على افريقيا، كونها مصدرا للمواد الخام، اضافة الى انها سوق كبيرة لتصدير المنتجات المختلفة، واميركا لا تريد ان تنفرد الصين وروسيا بها. قد تصبح افريقيا واحدة من اهم المناطق الاستراتيجية، اذ ان المنافسة بين الدول الكبرى فيها ستزيد من مستوى، فروسيا تخوض حربا مفتوحة الافاق في اوكرانيا، والدول الافريقية تعاني الامرين اقتصاديا جراء تداعيات جائحة فيروس "كورونا"، ومن بعدها الحرب الروسية - الاوكرانية. وبينما تتوقع موسكو ان تحضر القمة غالبية قادة الدول الافريقية (54 دولة)، حيث تتمتع دول افريقية عدة بعلاقات قوية مع موسكو، فان دولا اخرى في المقابل تواجه ضغوطا غربية لتحجيم علاقاتها مع روسيا.

في مقابل الاندفاعة الروسية في افريقيا، سجل انكفاء فرنسي وبداية خروج للفرنسيين من القارة السمراء بعد اقامة طويلة.

منذ حصول الانقلاب في النيجر، وجدت باريس نفسها في عين العاصفة. ومعه، يتواصل المسلسل الذي يستهدف الحضور الفرنسي في منطقة الساحل، وقد بدأ مع انقلابين عسكريين في مالي وواغادوغو افضيا الى رحيل قوة "برخان" من الاولى، وقوة "الكوماندوس" من الثانية. وحتى اليوم، لم تعمد السلطات العسكرية حديثة العهد في نيامي، الى طلب رحيل القوة الفرنسية المكونة من 1500 رجل مع اسلحتهم وخدماتهم اللوجستية، فيما المزاج الشعبي يطالب بخروج "المستعمر السابق" وقواه من البلاد.

وبعكس فرنسا التي يتنامى الشعور المعادي لها في النيجر، فان المظاهرات والتجمعات والشعارات بقيت بعيدة عن الاطراف الاميركية والالمانية والايطالية. ويقدر ان الاسباب الرئيسية متشعبة، اذ منها ما يتناول الارث الاستعماري الذي ما زال ملتصقا بالوجود الفرنسي، ومنها، وفق القراءة الفرنسية الرسمية، مرتبط بالدعاية المعادية التي تقوم بها روسيا وتأليب الرأي العام ضد فرنسا ليس فقط في النيجر ولكن ايضا في مالي وبوركينا فاسو وافريقيا الوسطى، وغيرها من مناطق النفوذ الفرنسية السابقة. وتضيف تلك القراءة: "لقد شاهدنا تظاهرة منظمة غير عفوية، عنيفة، بالغة الخطورة، مع زجاجات حارقة واعلام روسية ظهرت، وشعارات مناهضة لفرنسا نسخت ولصقت،

الرئيس الاميركي جو بايدن.

> **افريقيا خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والمواد الاولية**

الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون.

الى خروج فرنسا من افريقيا، هناك موجة مضادة تزداد اتساعا، وهي الموجة التي ترحب وتطالب بالوجود الروسي في دول الساحل والصحراء. وجود عناصر فاغنر الروسية في هذه الدول وجمهورية افريقيا الوسطى وجمهورية موزمبيق لم يعد سرا، بل هو بارز في الاماكن الحيوية والمهمة، كالمطارات والمناجم وبعض المعسكرات وحتى في بعض الدوائر الحكومية. واليوم هناك صراع على النفوذ الاقتصادي والامني في القارة الافريقية. الصين موجودة بقوة ولها قبول كبير، في وسط القارة وجنوبها، روسيا تتحرك امنيا وعسكريا عبر توسيع وجود قوات فاغنر في دول الساحل والصحراء وشمال افريقيا. اما الولايات المتحدة الاميركية، فلا وجود اقتصاديا مؤثرا لها في القارة. قدمت في البداية دعما للقوات الفرنسية لمقاومة الارهاب، لكنها قللت من ذلك الوجود بعد التراجع الفرنسي.

الحرب الروسية ـ الاوكرانية ستساهم في توسيع وتصعيد المواجهة بين روسيا وفرنسا على الساحة الافريقية، ولن تتردد روسيا في توظيف الحماسة الشعبية الداعمة لوجودها على التراب الافريقي. افريقيا منطقة فراغ من نوع جديد. على سطحها وفي جوفها ثروات طائلة، والطاقة النظيفة المتجددة هي المحرك اليوم للاطماع الدولية، وافريقيا لها امكانات هائلة في هذا المضمار، الذي سيكون محرك الصراعات الدولية المقبلة. روسيا لها قبول كبير في جنوب القارة وغربها، في حين انفجر العداء الشعبي الواسع للوجود العسكري

> **اميركا تتخوف من الصعود الروسي والصيني وانفقت المليارات لمحاربة الارهاب ودعم الوجود الفرنسي**

وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف.

مما يمكن ان نراه في مكان اخر... اي كل المكونات المألوفة لزعزعة الاستقرار على الطريقة الروسية ـ الافريقية".

محاربة الارهاب كانت الباب الذي عادت منه فرنسا الى غرب افريقيا، وتحديدا دول الساحل والصحراء. اكمل الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون ما بدأه سلفه فرنسوا هولاند، وعمل على توسيع حجم وجود فرنسا العسكري، وجعل تدخله في دول الساحل والصحراء، من مرتكزات سياسته الخارجية. لكن التنظيمات المتطرفة، وفي مقدمتها داعش والقاعدة، وسعت نشاطها وسيطرت على مناطق تمتد من بوركينا فاسو الى مالي والنيجر وتشاد. وتراجعت سلطات الحكومات الى حدود العواصم، وبدأت حالة الفشل السياسي والاقتصادي ترتفع وتتسع، وتتحول الى ظاهرة قوية عابرة لحدود الدول. ولد خطاب شعبي عنيف يرفع وتيرة العداء لفرنسا ويتهمها باستعمال الحركات الارهابية ذريعة من اجل نهب مقدرات هذه الدول، وتقدمت نخب ذات ميول يسارية الى فتح ملفات الماضي الاستعماري الفرنسي في افريقيا.

حيال الحملات الشعبية الواسعة التي تدعو

والاقتصادي والامني لفرنسا. الانقسام الاوروبي المتزايد يضيف قوة الى الوجود الروسي في القارة الافريقية. هجوم رئيسة الوزراء الايطالية جورجيا ميلوني العنيف على فرنسا مؤخرا، وحديثها عن الماضي الاستعماري الفرنسي للقارة الافريقية ونهبها الذي لم يتوقف لثرواتها كما قالت، يكشفان حجم الخلاف بين اطراف دول الاتحاد الاوروبي حيال افريقيا.

جاءت التطورات الاخيرة التي افضت الى انسحاب قوة "برخان" من مالي وقوة "سابر" من بوركينا فاسو، ووصول عناصر ميليشيا فاغنر الى جمهورية وسط افريقيا ومنطقة الساحل (مالي وبوركينا فاسو) والدعاية القوية المعادية لباريس، والتظاهرات التي تشهدها بين الحين والاخر في عدد من العواصم، الافريقية لتدفع السلطات الفرنسية الى اعادة النظر في السياسات السابقة التي لم تعد منتجة. يضاف الى ما سبق ان المنافسة الروسية والصينية والتركية فعلت فعلها، بحيث لم تعد فرنسا الامر الناهي حتى في البلدان التي كانت سياساتها واسواقها ومواردها الطبيعية معقودة اللواء لفرنسا.